

الله قدوس فكونوا قديسين¹

صفة القداسة في الله صفة مُطلَقة، وطبيعية، وبغير حدود. فهو كلي القداسة، مثلما نقول إنه كلي القدرة، وكلي المعرفة.

سجل لنا إشعياء النبي تسبحة السارافيم، وهم ينشدون الله قائلين: "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسُ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الْأَرْضِ" (إش 6:3).

ونحن نسبح الله كل يوم في صلوات الساعات، قائلين: "قدوس الله، قدوس القوي، قدوس الحي الذي لا يموت". وقد سجل لنا سفر الرؤيا تسبحة السمائيين بقيثاراتهم وهم يرتلون: "عَادِلَةٌ وَحَقٌّ هِيَ طُرُقُكَ يَا مَلِكَ الْقَدِّيسِينَ! مَنْ لَا يَخَافُكَ يَا رَبُّ وَيُمَجِّدُ اسْمَكَ؟ لِأَنَّكَ وَخَذَكَ قُدُّوسٌ" (رؤ 15:3، 4).

وروح الله في قداسته، هو الروح القدوس.

وكما أن الله قدوس، لذلك كل ما يحيط به يتَّصف بالقداسة.

فسماء الله مقدسة، وملائكة الله قديسون، وكتاب الله هو الكتاب المقدس، والصلوات الموجهة إلى الله صلوات مقدسة. وسر الإفخارستيا نصليه بالقداس الإلهي على المذبح المقدس، بالأواني المقدسة. كذلك نقول التسبحة المقدسة، والإبصلمودية المقدسة، والخولاجي المقدس...

وبيت الله هو بيت مقدس. ونقول عنه في المزمور: "بَيْتِكَ تَلِيْقُ الْقَدَاسَةُ يَا رَبُّ إِلَى طُولِ الْأَيَّامِ" (مز 93:5). ويوم الرب هو اليوم المقدس وأيضا كل مواسم الرب وأعياده مقدسة تقام فيها محافل مقدسة (لا 23:3، 4).

بل إن المكان الذي نصلي فيه يُدعى مقدسا، وكذلك اليوم يُدعى يوما مقدسا. وهكذا نقول في صلاة الشكر: "هو أيضا فلنسأله أن يحفظنا في

¹ مقال لقداسة البابا شنودة الثالث - بمجلة الكرازة - السنة الثانية والثلاثون - العددان 35، 36 (19-11-2004م)

هذا اليوم المقدس وكل أيام حياتنا بكل سلامة". كما نقول للرب أيضًا:
 "كل حسد وكل تجربة وكل فعل الشيطان ومؤامرة الناس الأشرار...
 انزعها عنا وعن سائر شعبك **وعن موضعك المقدس هذا**".

هنا ندخل في معاني كلمات: يتقدّس، قدّس، أقدّس..

نقول في أول الصلاة الربية: "ليتقدّس اسمك"، واسم الله قدوس بطبيعته. إنما نقصد بهذه الطلبة أن ينطق الناس باسم الله في تقديس وإكرام وإجلال، ولا يستخدمونه باطلاً في التافهات من الأمور. وهكذا قيل في الوصية: "لَا تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِكَ بَاطِلًا" (خر20:7).

على أن عبارة يقدّس تأتي أيضًا بمعنى "يُخصّص للرب".

وبهذا المعنى جاءت الوصية: "اذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتَقَدِّسَهُ" (خر20:8). أي تخصصه للرب وحده. فلا تعمل فيه عملاً ما سوى ما يخص الرب وحده، أي أعمال العبادة، والتأمل في كلمة الله وتعليمها... وكذلك وصية الرب لموسى: "قَدِّسْ لِي كُلَّ بَكْرٍ، كُلَّ فَاتِحٍ رَجِمٍ.. إِنَّهُ لِي" (خر13:2)؛ أي من كان من بني البشر يكون لخدمة الرب، قبل أن يخصص لذلك سبط لاوي وبني هارون.. أما أبكار البهائم، فكانت تُقدّم ذبائح للرب. أما قول ربنا يسوع المسيح عن تلاميذه: "وَلَأَجْلِهِمْ أَقَدِّسُ أَنَا ذَاتِي.." (يو17:19)، فمعناها أيضًا أخصص ذاتي لرعايتهم ومنحهم القوة والطهارة.

على أن المعروف عن القداسة أنها تعني الطهارة والنقاوة.

وعنها قيل: "الْقَدَاسَةُ الَّتِي يَدُونَهَا لَنْ يَرَى أَحَدُ الرَّبِّ" (عب12:14)، وعنها قال الرب: "كُونُوا قَدِّيسِينَ لِأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ" (1بط16:1). وأيضًا: "نُظِيرَ الْقُدُّوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا قَدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ" (1بط15:1). وفي هذا المعنى تدخل كذلك الآية التي تقول: "طُوبَى لِلْأَنْقِيَاءِ الْقُلُوبِ، لَأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ" (مت5:8).

وعكس القداسة والطهارة؛ النجاسة، وعقوبتها شديدة.

وفي العهد القديم كانوا يصفون بها بعض أمراض كالبرص، وكان صاحبها يخرج خارج المحلة، وبالنجاسة أيضًا بعض الحيوانات كالخنزير... وقيل عن أورشليم السماوية إنه: "لَنْ يَدْخُلَهَا شَيْءٌ دَنَسٌ وَلَا مَا يَصْنَعُ رَجِسًا" (رؤ21:27).

ومن أبرز مظاهر النجاسة: الزنى. وبسبب ذلك أحرق الله سدوم التي انتشر فيها الشذوذ الجنسي (تك19). كذلك أغرق الله العالم بالطوفان. وأول مظاهر شر الناس كانت "أَبْنَاءُ اللَّهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لَأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا" (تك6:2). وقيل في خطورة خطية الزنى أن أجسادنا هي هياكل الله. ولذلك: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُفْسِدُ هَيْكَلَ اللَّهِ فَسَيُفْسِدُهُ اللَّهُ، لِأَنَّ هَيْكَلَ اللَّهِ مُقَدَّسٌ" (1كو3: 16، 17).

على أن النجاسة لم تقتصر على الزنى فقط؛ بل حتى أخطاء اللسان. وفي ذلك قال الرب: "لَيْسَ مَا يَدْخُلُ الْفَمَ يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ، بَلْ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ هَذَا يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ" (مت11:15). وعلى هذا قال معلمنا يعقوب الرسول عن اللسان إنه: "يُدَنِّسُ الْجِسْمَ كُلَّهُ، وَيُضَرِّمُ دَائِرَةَ الْكُونِ" (يع3:6).

والكتاب يعلمنا أن المؤمنين المعمدين هم قديسون.

فيقول الرسول: "سَلِّمُوا عَلَى كُلِّ قَدِّيسٍ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.. يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ جَمِيعُ الْقَدِّيسِينَ" (في4: 21، 22). ودُعِيَ المؤمن قديسًا، لأنه تقدَّس بالدم الكريم الذي "يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ" (1يو1:7). وقد غُسلَ من خطاياه في المعمودية المقدسة، التي ولد منها إنسانًا جديدًا بآرًا. ولأنه أيضًا قد تقدس بالمسحة المقدسة، حينما رشم بالميرون المقدس 36 رشمًا في كل فتحات جسمه ومفاصله...

على أننا حاليًا نطلق كلمة قديس على مستوى معين من المؤمنين، مشهود له بأنه عاش في قداسة السيرة، أو عن قديس من أبطال الإيمان أو من صانعي الآيات والمعجزات.

ونحن نطلب القداسة في صلواتنا وفي القداس الإلهي...

ونقول في قطع الساعة الثالثة: "أرسل لنا نعمة روحك القدوس، وظهرنا من دنس الجسد والروح. وانقلنا إلى سيرة روحانية، لكي نسعى بالروح ولا نكمل شهوة الجسد"، ونقول في القداس الإلهي: "ظَهَرَ نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا".

بل بالقداسة نتقدم للتناول من الأسرار المقدسة ذاكرين قول صموئيل النبي حينما أراد أن يقدم ذبيحة في بيت لحم: "تَقَدَّسُوا وَتَعَالَوْا مَعِيَ إِلَى الذَّبِيحَةِ" (1صم5:16). ونقول عن التقدم للتناول: "القدسات للقديسين"، أي للأطهار الذين استعدوا استعدادًا روحيًا للتناول من الأسرار المقدسة.